

أرسل انيبال الى قرطجنة عدة امداد ممتلئة بالخواتم والتمتخ الذهبية التي احدها اسلاباً من قتلى اشراف الرومانيين ولكن لم نجد له في تضاعيف التاريخ ذكر مُنكر أنه، ولم يسفك دم انسانٍ بلا حرب . فينتج من كلامنا ان شهادة المؤرخ الروماني تعودُ على قائدها هذا بالفخر والشرف

وبالاختصار فان أقوال التواريخ والازمنة التي تواتت بعد هذا البطل سيرددها جميعُ الأمم والأجيال الى منقضى العالم . وذلك أن مظهر حياة هذا القائد المجيد ، هو أشرفُ مظاهر الحياة البشرية في هذه الدنيا لدلالته على همة عالية ، ومدارك سامية يندرُ وجودها ، خصوصاً حياته خلت عن كل أربٍ شخصي ، وأثرة ذاتية ، لم يلابسها إلا هوى فرد ، ألا وهو حبُّ الوطن حتى انه قضى أخيراً شهيداً محبته لوطنه

يوليوس قيصر

قائد روماني ولد سنة ١٠٠ قبل المسيح وتوفي سنة ٤٤ ق - م

ها انا موردون ترجمة شهيد آخر لم يتفان في حب وطنه ، ولكن ذهب قتيل الطمع - نريد به هذا الرجل العجيب المنقطع النظير ، الذي لم يكن يخلو عن ضرب من ضروب النقائص والذائل ، وكانت حياته كلها عبارة عن سلسلة تعديت على وطنه

وبالجملة فان هذا الرجل هو قيصر ، ثالث الرجال العظام المشاهير في في الاقدمين . ولد ونشأ وشب متحلياً بصنوف الصفات ، فانه كان شجاعاً فصيحاً لطيفاً كريماً جواداً منوطاً في السخاء ، بيد انه كان يؤثر السذاجة في اعماله ، ولكن لم يكن عنده اقل هم في ان يفرق بين الخير والشر ، لا في العمل ولا المبدأ . وكان قصارى همّه ومبدأ جميع أعماله طلب الغاية التي قصر عن بلوغها

« ماريوس » و « سيلاً »^(١) نريد بها التسلط على وطنه . كان قصد الاسكندر الاستيلاء على جميع العالم المعروف وقتئذٍ ؛ ووقف انبئال حياته كلها على وقاية وطنه من النشوب في عبودية الأعداء . أما قيصر فكانت غاية القصوى أن يملك رومة التي تفرّدت بالاستيلاء على كل الدنيا تقريباً . ونراه قد اتخذ كل الوسائل إدراكاً لهذه الغاية ، غير متدّم من الاسفاف الى الذرائع السافلة ، بيد أنه لم يرد موارد الجور والجَنَفِ تفادياً من الارتطام باغلاط « ماريوس » و « سيلاً » . وقد تدرّج في الخطط والمراتب من وظيفة إديل^(٢) الى وظيفة بريطور^(٣) ثم الى رتبة رئيس أحبار العاصمة ؛ وعقد ديوناً رابية ليرشو المتخبين ، لأن كل هذه الوظائف كانت تُنال بالانتخاب ، واستغوى الرجال والنساء ، مستفسداً المتزوجين وغيرهم استفساداً عامة الشعب . وما كفاه ما أتاه من ضروب الفساد حتى عمد الى استعمال الوسائط الأدبية ، فأصبح أعظم خطيب في رومة بعد شيشرون . وما زال حتى صار علة عدة كثيرين من بوادر الفرح والريب في رومة ؛ فأعيتة الاقامة بها فاتفق مع كراسوس البخيل ، وبمبيوس المتكبر^(٤) ، واختص نفسه بحكومة ولايات غالباً قصد تدويج هذه البلاد الواسعة ، لا ليزيد مجد رومة ، بل ليحشد عساكر قاهرة ، ويجمع أموالاً وافرة ، فيقضي ديونه وديون أشياءه فأقام مدة ثماني سنين في غالباً بحارب أيام الصيف ، ويعود آونة الشتاء الى دسّ الدسائس ، ويدبر من معسكره في ميلانو بحرى عجرفة بمبيوس وبخل

(١) ماريوس وسيلاً قائدان رومانيان شهيران بانتصاراتهما على اعداء رومة ولاسيما بشدة تعاديهما . ولد الاول سنة ١٥٧ وتوفي سنة ٨٥ ، والثاني ولد سنة ١٣٧ وتوفي سنة ٧٨ وقد استبدنا برومة على التعاقب

(٢) ادبل Edile مأمور اخص وظائفه النظر في بنايات المدينة وتولي الالعب

(٣) بريطور Préteur اي كبير قضاة رومة ، ومن كان في الولايات متقلداً مثل هذه الوظيفة يدعى حاكماً أيضاً

(٤) كراسوس كان أغنى اهل عصره وبمبيوس الكبير كان اعظم الرومانيين بعد قيصر وهما قائدان رومانيان قد شاركا بوليوس قيصر في انشاء ما هو معروف تاريخياً بحكومة الثلاثة الرجال الاولى Premier triumvirat

كراسوس . وبذلك تسلط مدة عشر سنين على مجرى الأحوال الرومانية . ثم لما توفي كراسوس في آسيا ، ولم يبقَ بينه وبين بيبوس رجلٌ ثالث يمنع تماديهما في الطمع والبغي ، عمد أولاً الى استعمال الحيل لإرجاء القتال بينهما ، اذ كان قد شعر بسوء عاقبته ، حتى انه لما تعذر عليه مجانبة القتال ، اجتاز نهر رويكون^(١) وسار لمسورة بيبوس ، وعساكرة اذ ذاك في اسبانيا ، فاجأه الى الفرار من ايطاليا الى بلاد ابيروس ، وهناك ترك كما قال مدلاً بسطوته ، قائداً بلا جيش ، وذهب الى اسبانيا فشنت جحافل بيبوس التي كانت بأمره افرانيوس . ثم غادر اسبانيا ، واجتاز ايطاليا مسرعاً شاخصاً الى ابيروس إدراكاً لعدوه . فصادف بيبوس نفسه وجعل يقاتله الكربة بعد الكربة ، وكانت الوقعة الفاصلة لتلك الحرب الشهيرة سهول « فرسال » فتغلب عليه ، واستأثر بالسلطة المطلقة ، فلاذ بيبوس بالهرب منه خوفاً الى ان لاقى اجله قتيلاً في مصر .

ثم إن قيصر جعل يتعقب بقايا حزب بيبوس في افريقية واسبانيا ، وقهرهم كافة ، وفتح شمالي آسيا . ثم عاد الى رومية ليتلذذ بثمار انتصاراته على جميع اعدائه ومناوئيه . ثم أسس فيها ما يعبر عنه بالامبراطورية الرومانية ، ولكنه ذهب قتيلاً بتكدة الجمهوريين ، لأنه اراد الإمراع في وضع الاسم للمسمى ، بعد ان ملك العالم مدة تزيد على اربع سنوات^(٢)

فما سبق ايراده من اخبار هذه الحياة يرى ان كل الوسائل والتدابير المذكورة كانت سيئة كالفاية التي سعى اليها قيصر . ولكن ينبغي ان يعترف له بالفضل من جهة واحدة وهي انه قصد ان يحول هيئة الحكومة من كونها جمهورية الى كونها امبراطورية . ليس بأنواع القتل وسفك الدماء ، كما فعل ماريوس وسيلا ،

(١) رويكون نهر صغير في شمالي ايطاليا قد قضى مجلس النبلاء « الشيوخ » برومة ان كل ما يعبره مسلحاً بحسب عدواً للرومانيين

(٢) يراد بالقول « وضع الاسم للمسمى » أنه أسس الامبراطورية اي سلطة شخص واحد ولكنه لم يستطع تغيير اسم الحكومة فبقى اسمها جمهورية رومانية وحين اراد المتناداة بالملك قتلوه وذلك سنة ٤٤ قبل المسيح

ولكن بتعطيل الآداب الملائمة اخلاق الرومان ، وبحسب قوة العقل المناسبة لسوء مداركه . وبالجملة فإن هذا الرجل الغريب الذي كان من اعظم ارباب السياسة ، وخطيباً شهيراً وبطلاً صنديداً ، وعاتقاً في الارض فاسد الاخلاق ، يظلم بلا رحمة ، ويرحم بغير حد ولا قياس ، له مزية خاصة به دون سواه . وهي انه خلق عجيب يخبر عنه آخر الدهر بكونه اكل انسان وجد على الارض^(١) (للكلام صلة)

الاناشيد الوطنية

قال أحد مشاهير كتاب الانكليز « إن الذي يضع لنا وطنياً لقومه يضع لهم قوانين جديدة » . وهو قول لا مبالغة فيه . إذ أن الاناشيد الوطنية هي التي شحذت السيوف ، وحررت الأرقاء ، وكونت الأمم ، ورفعت الممالك ، ووحدت قلوب أهل البلد الواحد وهي التي تذكى نار الوطنية ، وتجلو صدأها ؛ يتوكأ عليها قواد الأمم اذا أجهدهم السير ، ويهشون بها على اتباعهم اذا حاذوا عن الطريق ينشدونها الغريب فيذكر قومه ، ويرفع بها المنى عقيرته فيذكر وطنه . فهي روح الوطنية ، والوطنية قوام البلاد ؛ وهي رسول الشعور ، والشعور منبت الوطنية . وهي الصلة بين القلوب ؛ والقلوب منشأ الشعور وأفضل الاناشيد الوطنية في الأفتدة وأشدّها تأثيراً على النفوس ما وافق لحنه الموسيقي الفاظه فامتزجا بمخيلة « الشاعر الملحن » قبل أن

(١) يراد باكل انسان وجد على الارض أنه جمع في شخصه أصناف الصفات والحلال من حسنة وقيحة مما لا يستجمع في غيره من الناس